من بلاغة النبوة بين الخطابة المكية والمدنية

د/ ماجدة يسري أحمد السيد

المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

قسم البلاغة والنقد – جامعة الأزهر

(العدد الرابع والثلاثون)

(الإصدار الثاني .. أكتوبر)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م)

من بلاغة النبوة بين الخطابة المكية والمدنية

ماجدة يسري أحمد السيد
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: maelsayed@kku.edu.sa

ملخص البحث: لقد أنعم الله على نبيه ﷺ بالفصاحة والبلاغة فكان أفصح العرب قاطبة فقال عنه مولاه (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) وقال ﷺ عن نفسه. (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش) وفي هذا البحث أتناول نماذج من خطبه ﷺ فاخترت نموذجا من خطبه المكية وكان أول خطبة له بمكة، وكذلك نموذجا من خطبه بالمدنية، وكان أول خطبة جمعة له ﷺ بالمدينة، وقد امتازت الخطبة المكية بالقصر حيث راعى فيها النبي ﷺ حال المخاطبين، كذلك امتازت بالسجع وقصر الجمل، وامتازت بكثرة المؤكدات. أما خطبته بالمدينة فقد امتازت بالطول وجاءت العبارات طويلة واستخدم النبي ﷺ فيها الكثير من الألوان البلاغية كالإيجاز والإطناب، والطباق والجناس وقد وظف النبي ﷺ لخدمة المعنى الذي أراد إيصاله للمخاطبين.

الكلمات المفتاحية: مكة. المدينة. الإيجاز. الإطناب. الطباق. الجناس

From the eloquence of prophecy between Meccan and civil rhetoric

Magda Yousry Ahmed El Sayed
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Mansoura, Al-Azhar University, Egypt.
Email: maelsayed@kku.edu.sa

Abstract: God blessed his Prophet, may God's prayers and peace be upon him, with eloquence and eloquence, and he was the most eloquent of all Arabs. His master said about him: (Taught him with mighty power). And he, peace be upon him, said about himself: (I am the most eloquent of the Arabs, but I am from Quraysh). In this research, I will discuss examples of his sermons, may God's prayers and peace be upon him. I chose a model from his Meccan sermons, and it was his first sermon in Mecca. And also an example of his sermons in Medina, and his first Friday sermon, may God's prayers and peace be upon him, was in Medina.

The Meccan sermon was characterized by its shortness, in which the Prophet, may God bless him and grant him peace, took into account the condition of the addressees. As for his sermon in Medina, it was characterized by length, and the phrases were long. The Prophet, may God's prayers and peace be upon him, used many rhetorical colors in it: brevity, overstatement, counterpoint, and alliteration. The Prophet, may God bless him and grant him peace, was employed to serve the meaning that he wanted to convey to the addressees.

Keywords: Mecca. City. Briefness. overstatement. counterpoint. alliteration

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :-

فالحديث عن بلاغة النبي ﷺ لا يتناهى ، ولا عجب في ذلك فهو أفصح العرب قاطبة، وقد علمه شديد القوى ، لذا أحببت أن أتناول جانبا من بلاغته ﷺ وذلك من خلال خطابته بمكة والمدينة ، فكان البحث بعنوان **(من بلاغة النبوة بين الخطابة المكية والمدنية)**

والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع :

- الرغبة الشديدة والملحة في العيش مع بلاغة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أعجزت العرب وأقعدتهم.
- امثالاً لأمره ﷺ حيث يقول " بلغوا عني ولو آية " [1]
- الهجمة الشرسة والإساءة المتكررة من الغرب عليه ﷺ، فأردت أن أسلط الضوء على جانب من صورته التي أرادوا تشويهها، وبيان أنه ﷺ أجمل الخلق في كل شيء ، وبلاغته ﷺ ماهي إلا جانب من جوانب ذلك الجمال .

وقد سبقني في هذا المضمار الكثيرون، لكني أردت أن أسهم فيه ولو بالقليل، حتى أنال شرف البلاغ عن رسول الله ﷺ، وأميط اللثام عن طرف من بلاغته التي تقف العقول أمامها حائرة .

هذا وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة .

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

التمهيد: تحدثت فيه عن عوامل بلاغة النبي ﷺ وعن خطبه.

---

(١) صحيح البخاري ١٧٠/٤ – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

المبحث الأول: أول خطبة للنبي ﷺ بمكة وتحليلها تحليلا بلاغيا .

المبحث الثاني: أول خطبة جمعة للنبي ﷺ بالمدينة وتحليلها تحليلا بلاغيا.

مقارنة بين الخطبتين ، بينت فيها ما تميزت به كلتا الخطبتين .

الخاتمة: تحدثت فيها عن النتائج التي توصلت اليها من خلال البحث .

ثم ثبت للمصادر والمراجع.

تنويه: كان الأصل ان أبدأ بالخطبة التي كانت في مكة ثم أثني بخطبة المدينة، لكني عدلت عن ذلك؛ لأني لم أكن أنتوي التعرض لخطبة مكة، وكنت سأقتصر على خطبة المدينة لكن لاح لي، أن أعقد مقارنة بين خطبه ﷺ بمكة، وخطبه بالمدينة، فكان ذلك.

تمهيد

حين نتحدث عن بلاغة النبي ﷺ نقول إنها قد فاقت كل بلاغة ، فكلامه ﷺ "هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التعقيد، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الأفهام"[(١)].

وهناك عوامل قد ساهمت في تشكيل ملامح بلاغته ﷺ وهي كما ذكرها الرافعي[(٢)] :

- الفطرة النبوية ، فكانت فطرته ﷺ سليمة، لذا مكنته من معرفة أساليب العرب ومخاطبة كل قوم بلغتهم.
- هاشم وهم أفصح العرب وأخواله بنو زهرة ورضاعته في بني سعد وزواجه من بني أسد.
- المنحة الإلهية ، كان كلامه ﷺ من تعليم الله له وفضله عليه، قال تعالى: (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)[(٣)].

---

(١) البيان والتبيين : ١٣/٢ – عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) – الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت – عام النشر: ١٤٢٣ هـ .

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٩٥،١٩٦،١٩٧ بتصرف . مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ) – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م .

(٣) النساء : ١١٣ .

- الهدي القرآني، فقد كان ﷺ متأثرا بالقرآن في لفظه وفي فكره وقد قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها "كان قرآنا يمشي على الأرض".

والخطبة الإسلامية بصفة عامة لابد فيها من الأمور التالية :

- المقدمة: وتسمى المقدمة الإسلامية حيث يبتدأ فيها بالحمد والثناء وذكر الفكرة الرئيسية.
- موضوعها: يفصِّل الفكرة الرئيسة للخطبة ويذكر فيها كل موضوعات الخطبة.
- الخاتمة: تحتوي تلخيصا لما ورد في الخطبة من أفكار ، ثم تشتمل على الدعاء، ثم السلام .

ومن شروط متن الخطبة: (١)

١- الوحدة الموضوعية: بأن يراعي كون الحديث في موضوع واحد لا يخرج عنه إلى غيره إلا لحاجة، لأن ذلك أدعى إلى الاستيعاب.

٢- الجدة: بأن يكون موضوع الخطبة جديدا جاداً، فالجديد هو الطريف غير المكرر، في أسلوب العرض، ومنهج المعالجة وتقديم الفكرة.

٣- الوضوح: سواء في اختيار الموضوع أو في الأسلوب الخطابي وطريقة الإلقاء وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان كلام رسول الله ﷺ كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه» .

ولفظ الترمذي: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بيّن فصل يفهمه من جلس إليه» ومن الوضوح ترتيب العناصر وترابطها: فيبدأ بالأهم فالمهم، ويراعي التسلسل المنطقي بينها

---

(١) تدريب الدعاة على الأساليب البيانية ٣٦٩ – أ. د. : عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب– الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة – الطبعة: العدد ١٢٨ – السنة – ٣٧ – ١٤٢٥هـ .

على أن يفضي بعضها إلى بعض ويأخذ بعضها بحجز بعض في تناسق وإحكام.

٤- المعاصرة: ونعني بها هنا اختيار الموضوع الحي النابع من حاجات الناس مما يواكب رغباتهم ويجيب عن تساؤلاتهم ويحل مشكلاتهم ويشبع تطلعاتهم.

٥- مراعاة القدرات الفكرية للمخاطبين ومراعاة أحوالهم.

المبحث الأول

خطبته ﷺ في أول جمعة بالمدينة

أخرج ابن جرير وغيره عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أنه بلغه عن خطبة النبي ﷺ في أول جمعة صلاها ﷺ بالمدينة في بني سالم بن عوف رضي الله عنه:

الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم وضلالة الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل.

مَن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصمها فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرا ، وأنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة وعون وصدق على ما تبتغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ) والذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف ذلك، فإنه تعالى يقول (مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية، فإنه: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) وإن تقوى الله توقى مقته، وتوقى عقوبته، وتوقى سخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجه، وترضى الرب، وترفع الدرجة، خذوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمك الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين

صدقوا وليعلم الكاذبين . . فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ) ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد الموت، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . (١)

بدأ النبي ﷺ خطبته بحمد الله والثناء عليه سبحانه ، فقال ﷺ "الحمد الله" وهذا ما يعرف ببراعة الاستهلال(٢)"، إن من أهم أساليب الإقناع المدخل الاتصالي المناسب الذي يعمل على جذب الانتباه وإثارته، فهو مدخل إلى نفوس الناس ومفتاح لعقولهم وأفكارهم"(٣) وهذا ما حرص عليه النبي ﷺ، فالعقول إذا هيئت لما سيلقى كان ذلك أدعى لقبول ما يطرح عليها من أوامر ونواهٍ ، بخلاف ما لو ألقى الكلام دفعة واحدة .

---

(١) البداية والنهاية ٣/٢٢٧،٢٢٦ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) – المحقق: علي شيري – دار إحياء التراث العربي – الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨م

(٢) براعة الاستهلال : كون الكلام المبتدأ به مناسبا للمقصود . حاشية الدسوقي على مختصر المعاني ٤/٢٨٨– لسعد الدين التفتازاني (المتوفى: ٧٩٢ هـ) محمد بن عرفة الدسوقي – المحقق: عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية، بيروت – كذلك تكون بالبدء بما يكون فيه إلماح إلى المقصود الأول من النص الأدبي، وإبداع يجذب الانتباه، ويأسر المتلقي سامعا أو قارئا، مع حسن سبك، وعذوبة لفظ، وصحة معنى. البلاغة العربية ٢/ ٥٥٩– عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) – دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

(٣) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم – سعيد بن علي ثابت – الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ .

ومعنى "الحمد لله" أى: أصفك بالجميل الذى أنت أهله؛ لأن الحمد: الثناء بالجميل، ومن المعلوم أن كل أوصافه جميلة، فكأنه قال: نصفك بكل صفة جميلة " [١]

و"أل" في قوله ﷺ "الحمد الله" لبيان الجنس، أي جنس الحمد، فكل حمد يؤول إليه ﷻ، وكل حمد في الوجود مصدره الله سبحانه جل في علاه .

والتعبير بالاسم "الحمد"يفيد الثبوت، ثم أكد ﷺ كلامه بقوله "أحمده" لذا جاءت الجملة مفصولة عما قبلها وذلك لكمال الاتصال، فالجملة الثانية توكيد للأولى، فصارتا كالشيء الواحد، لذا وجب الفصل، لأن الشيء لا يعطف على نفسه[٢] .

وجاء التعبير بالفعل المضارع "أحمده" ليفيد تجدد الحمد منه ﷺ ومداومته عليه ، فالحمد منه ﷺ يتجدد مع تجدد نعم الله عليه ، ونعم الله عليه ﷺ متجددة لا تنقطع .

والفعل "أستعين" يتعدى بنفسه كما الحال هنا فيقال "أستعينه" ويتعدى بالحرف فيقال "أستعين به".

لكني أرى أن التعبير بـ "أستعينه" أبلغ من بـ" أستعين به" وذلك أن التعبير الأول يقتضي ألا تكون هناك واسطة بين الفعل والمفعول، فهو سبحانه قريب

---

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني ٢٠/١ .

(٢) سئلوا عن البلاغة فقالوا: البلاغة: معرفة الفصل من الوصل. الصناعتين: ٤٣٨ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) – المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العنصرية – بيروت – عام النشر: ١٤١٩ هـ. مفتاح العلوم: ٢٥١ – يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) – ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م . الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢٠ – يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ) – المكتبة العنصرية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

من عباده لا يحتاج إلى واسطة و هذا ما أراد أن يشير إليه النبي ﷺ حين آثر التعبير بالفعل الذي يتعدى إلى المفعول مباشرة ، دون واسطة، لأن هذا أرجى في مقام الدعاء وطلب العون.

وكذلك الفعل "أستهديه" يتعدى بنفسه ويتعدى بالحرف فيقال "أستهدي به"، لكنه ﷺ آثر التعبير بالفعل الأول وذلك للعلة التي ذكرت من قبل وهي رغبته ﷺ في ألا تكون هناك واسطة بينه وبين ربه سبحانه.

والفعل "أكفره" يتعدى بنفسه ويتعدى بالحرف فيقال "أكفره" وذلك حتى ينفي ﷺ كفره عن المولى ﷻ بقوة ويسير الكلام على نفس النسق السابق.

وجملة "ولا أكفره" جاءت على سبيل التتميم[1] لأن المعنى لم يكتمل ولم يتم إلا به، وذلك أن الإيمان قد يتطرق إليه شيء من الكفر، فلما قال ﷺ "ولا أكفره"؛ أوضح أن إيمانه ﷺ إيمان كامل، لم ولن يختلط بنوع من أنواع الكفر.

ومن تمام الحب والاخلاص لله معاداة من يعاديه سبحانه، لذا قال ﷺ "وأعادي من يكفره" لأن المحبة لا تصدق ولا تكتمل إلا بذلك .

والتعبير بالفعل المضارع "أعادي" يدل على تجدد الفعل منه صلوات ربي وسلامه عليه ، فهو ﷺ تتجدد معاداته للكفرة مع تجدد وجود من يكفر بالله .

وإيثاره ﷺ للفظ "أعادي" دون أكره أو أبغض، وذلك أن المعاداة درجة أعلى من الكره أو البغض، فالإنسان قد يكره ولا يظهر، أما المعاداة فتكون ظاهرة،

---

(١) التتميم: أن يؤتى فى كلام لا يوهم غير المراد بفضلة تفيد نكتة . عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ١: ٦١٤ – المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) – المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان –الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م . الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ٢: ٩٤– إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ) – حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

كما أن الفعل أعادي يشعر بأن هناك مشاركة بين الطرفين ، فكأنه ﷺ يبادل هؤلاء الكفرة العداوة .

ثم جاءت الشهادتان وهي مكونة من كلمة التوحيد "أشهد أن لا أله إلا الله" وهي الإقرار بأنه لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه وأنه وحده سبحانه حقيق بالعبودية دون سواه ، ثم أكد ﷺ هذا الكلام بقوله "وحده لا شريك له" فهي تحمل نفس المعنى وهو عدم اتخاذ شريك مع الله ﷻ في العبادة.

والجملة من قبيل القصر الحقيقي التحقيقي[1] حيث قصر صفة الألوهية على الله ﷻ وحده دون سواه ، والشق الثاني للشهادتين وهو قوله ﷺ "وأن محمدا عبده ورسوله" كان المقتضى أن يقول "وأني عبده ورسوله" لكنه عدل من هذا الأسلوب (التكلم إلى الغيبة وذلك إما أن يكون تواضعاً منه ﷺ، وإما أن يكون لإبراز اسمه ﷺ "محمدا" حتى يقرع آذان السامعين ويكون مقروناً باسم الجلالة "الله" وفي هذا شرف ما بعده شرف، أن يقرن اسمه ﷺ باسمه ﷻ، فلا يقال لا إله إلا الله إلا ويقال محمد رسول الله ، وينبغي على الانسان أن يجدد إيمانه من حين لآخر بقوله "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فيذكر بها نفسه وغيره مما يسمعه، فكان هذا القول منه ﷺ تعليما للصحابة .

ويلحظ منه ﷺ أنه أذعن بصفة العبودية وقدمها على صفة الرسالة، فالعبودية لله تشريف، وهذا ما أفادته الإضافة، فإضافة المسند إليه "محمدا" إلى الضمير الذي يعود على الله ﷻ، أفاد تشريف المسند إليه وتعظيمه ، فقد اكتسب التشريف من إضافته إلى الضمير العائد عليه سبحانه .

---

(١) القصر الحقيقي ما كان تخصيص الشيء بالشيء فيه بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بمعنى عدم مجاوزة الأول والثاني إلى غيره أصلًا. والقصر الحقيقي قسمين: حقيقي تحقيقي، وحقيقي ادعائي . الإيضاح في علوم البلاغة: ٣/ ٦، ١١ محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) – المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي – دار الجيل – بيروت – الطبعة: الثالثة .

فتعظيمه ﷺ من تعظيم الله واتباعه وطاعته قال تعالى (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)[١]

واستمر النبي ﷺ في حديثه عن نفسه بطريق الغيبة حيث قال "أرسله بالهدى".

وقد جاءت جملة "أرسله" مفصولة عما قبلها ؛ لأنها بيان لما قبلها، فقد بينت هذه الجملة "أرسله" وما بعدها ، بينت ما أُرسل به الرسول ﷺ، وأنه أُرسل بالهدى ودين الحق، والفصل هنا لكمال الاتصال، فالجملتان هنا قد التحمتا واتحدتا حتى صارتا جملة واحدة ، فلا يصح أن تعطف إحداهما على الأخرى.

و "أل" في "الهدى" لاستغراق الجنس[٢] فهي كما في قوله تعالى (ذلكَ الكِتابُ لا ريْبَ فيه)[٣] أي المستغرقِ لصفاتِ الكمالِ فقد أرسل ﷺ بالهدى التام والكامل .

فما جاء به النبي ﷺ هدى لكل الضلالات التي يمكن أن تقابل الإنسان في حياته، فما جاء به ﷺ هدى وعلاج لكل ما يلقاه الانسان من مشكلات في حياته.

---

(١) سورة النساء : آية ٨٠ .

(٢) المنهاجُ المختَصر في عِلمي النَّحو وَالصَّرف : ٦٢ عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي – الناشر: مؤسَسَة الريَّان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧ م . شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد» ٢ / ٨٢٧ محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: ٧٧٨ هـ) – دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون – الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية – الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ .

(٣) سورة البقرة : آية : ٢ .

وقوله "ودين الحق" من إضافة الصفة إلى الموصوف ، فأصل الكلام " الدين الحق " والوصف بالمصدر فيه مبالغة ، و يمكن أن يكون "الحق " اسمًا من أسماء الله ﷻ، فتكون إضافة الدين إليه تشريفًا وتعظيمًا لهذا الدين الذي هو الإسلام .

و"أل" في قوله "والنور" فيه لاستغراق الجنس، فهو يشمل جنس النور التام ، الذي يصلح لكشف أي ظلمة قد تعترض الانسان في طريقه، فقد أرسل ﷺ بدين الإسلام، ومعه القرآن، ومعه كذلك هديه ﷺ، فتكون الصفات السابقة صفات للقرآن ولهديه ﷺ.

وقوله "على فترة من الرسل" اقتباس من القرآن الكريم حيث يقول تعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ)[1]. ولا عجب في ذلك فقد كان ﷺ قرآنا يمشي على الأرض ،وكان خلقه القرآن، فمن الطبيعي أن يأتي في كلامه بآيات من القرآن ويتمثل بها في حديثه ﷺ.

والتنكير في قوله "فترة" "قلة" يفيد النوعية، فالفترة التي انقطعت فيها الرسالات كانت فترة انتشار الجهل والضلالات بين الناس، فدل التنكير على أنها كانت فترة زمنية من نوع خاص (فترة استثنائية).

وكذلك التنكير في "قلة "دل على أنها لم تكن قلة عادية فقد كانت متناهية، تصل إلى حد العدم.

أما التنكير في قوله "ضلالة" فقد أفاد العموم، فالضلالة قد انتشرت وعمت كل أرجاء الأرض، وكذلك قد يكون التنكير للتكثير، والمعني أنها كانت ضلالات كثيرة، شملت كل شيء من معتقدات وعادات وأعراف وغير ذلك من الأمور الحياتية والاجتماعية، حتى كانت حياة العرب قبل الإسلام بحرا يزخر بصنوف الضلال .

---

(١) سورة المائدة : آية : ١٩ .

أما التنكير في قوله: "دنو"، "قرب" يمكن أن يكون للتقليل أي تقليل الفترة الزمنية التي بين مبعثه ﷺ وبين قيام الساعة فهي فترة قريبة جدا من قيام الساعة، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك ، حيث يقول ﷺ (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» يَعْنِي إِصْبَعَيْنِ)[1].

وقوله ﷺ (من يطع الله ورسوله فقد رشد) يلحظ فيه عدم تكريره ﷺ للفعل (يطع) وفي ذلك دلالة على أن طاعة الرسول نابعة من طاعة الله، فقد قال تعالى(مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)[2].

فالحذف هنا أبلغ من الذكر، فهو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[3] فتولد عن هذا الحذف معان كثيرة، منها تعظيم شأنه ﷺ، ووجوب اتباعه في كل ما جاء به، وأن طاعته من طاعة الله ﷻ.

والفاء في قوله " فقد رشد " للسببية أي أن ما بعدها مترتب ومسبب عما قبلها ، فطاعة الله وطاعة الرسول سبب في الرشاد.

واقتران جواب الشرط " بقد " ودخوله على الفعل الماضي " رشد " فيه دلالة على تحقق الفعل وأنه واقع لا محالة .

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٠٦ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، صحيح مسلم ٢ / ٥٩٢ – مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢) سورة النساء آية ٨٠ .

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني : ١٤٦ – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) – المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر –الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

وكذلك الأمر في قوله "ومن يعصهما" فقد أسند الفعل إلى ضمير التثنية العائد على الله ورسوله. فقد جعلهما جهة واحدة وفي هذا دلالة على أن معصية الرسول ﷺ من معصية الله ﷻ.

ومجيء هذه الأفعال "غوى" ، "فرط"، "ضلالا بعيدا" فيه دلالة على أن عاقبة ذلك الأمر الذي هو معصية الله ورسوله وخيمة ويترتب عليها آثار عظيمة الخطر.

والتعبير بـ "قد" يفيد تحقيق الفعل، فقد أفادت أن العاقبة محتومة وواقعة لا محالة.

ووصف الضلال بقوله "فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا"، فيه دلالة على أن من يحيد عن الطريق المرسوم؛ فإنه يضل ويذهب في تيه لا يرجى معه عودة، وهذا ما أفاده الوصف فقد بين حالة هذا الضلال أنه لا ينبغي التهاون من أمر هذا الضلال فهو ضلال من نوع خاص، فقد يودي بحياة من يسلك هذا السبيل ويحيد عن جادة الطريق.

وقوله ﷺ "وأوصيكم بتقوى الله" فقد عبر بالوصية دون غيرها كأن يقول ﷺ آمركم ، وذلك لأن الوصية لا تكون إلا من محب ولا شك في ذلك فهو صلى الله عليه وسلم حريص على أمته كل الحرص ، حريص على ما يصلحها.

وقد أوصى النبي ﷺ بالتقوى دون غيرها من الأمور ، فقد بين سببه ﷺ بقوله: " فإنه خير ما أوصي به المسلمُ المسلمَ " والكلام إذا جاء معللاً فإن النفس تقبل عليه وتتلقاه بيسر وسهولة، لأنه لا يترك لها مجالاً للتساؤل لماذا كان الأمر بالتقوى دون غيرها؟ ففيه راحة للنفس ، فتجعل المخاطب يقبل على المأمور به ويستجيب له، وهذا من حرصه ﷺ على استجابة الصحابة وكل من

يصله هذا الأمر، وإلا فإنه ﷺ ما عليه إلا البلاغ، حيث يقول تعالى: "فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ"(١) "لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ"(٢) ولكنه ﷺ أرسل رحمة للعالمين .

والتعبير بالفعل المضارع في قوله "وأوصيكم" فيه دلالة على مداومته ﷺ على هذه الوصية كما ورد في حجة الوداع .

وتنكير كلمة "خير" فيه دلالة على التعظيم فلا شك أن الوصية بالتقوى خير عظيم ليس بعده خير، وذلك لأن هذه الوصية التي هي تقوى الله لو نفذت لجعلت صاحبها يحيا حياة طيبة، يفوز فيها برضوان الله في الدنيا، وفى الأخرة ويكون له جنات النعيم، وهل بعد ذلك من خير؟.

وإيثاره ﷺ لفظ المسلم دون المؤمن لما في مادته من معنى السلامة ، وهو أعم و أشمل من المؤمن ، وهذا من دقته ﷺ في اختيار اللفظة المفردة .

والتعبير بقوله "ما أوصى به المسلم المسلم "إشارة منه ﷺ إلى ما ينبغي أن يكون بين المسلم وأخيه المسلم، و هو أن يحرص كل منهما على أخيه ، فهذه الوصية التي هي ليست قاصرة على الرسول ﷺ، بل ينبغي أن يتواصى كل المسلمين بالتقوى .

وقوله "فإنه" من قبيل وضع المضمر موضع المظهر، لأنه لم يكن هناك ذكر متقدم للضمير العائد على الآخرة ، فالضمير في قوله "فإنه" عاد على متأخر في اللفظ والرتبة، وذلك تفخيماً لشأن الموصي به وهو الحض على الآخرة أو الخيرية خير، وتأتي قيمة وضع المضمر موضع المظهر من أن معرفة المقصود بالضمير "تحصل بعد انتظار، فيتمكن في الذهن؛ لأن الإنسان مجبول بحفظ ما حصل بتعب ومشقة، وإن قل مقداره، وبعدم المبالاة لفوت ما حصل بسهولة، وإن كان عظيما؛ ولأن سماع الضمير المبهم كسماع

(١) سورة آل عمران: آية ٢٠ .

(٢) سورة البقرة: آية ٢٧٢ .

حرف التنبيه يزيل الغفلة فيدرك ما يعقبه بريئا عن الغفلة، ولأنه يتصور بسماع الضمير مبهما ثم يأتي بالتفسير معينا"[١]

والتعبير بالموصول "ما" للتعميم أي أن التواصي بالتقوي يفضل كل ما سواه من الأمور، ثم عطف عليها قوله ويأمره بتقوى الله، والوصل هنا للتوسط بين الكمالين.

ويلاحظ هنا أن النبي ﷺ حين تعلق الكلام بالآخرة جاء بالفعل "أوصى" وفى التقوى جاء بالفعل المضارع " يأمره".

وحين كان الكلام صادراً منه ﷺ قال أوصيكم ، وذلك لأنه كما ذكرت آنفا أن الوصية لا تكون إلا من محب ومحبته ﷺ لكل المؤمنين محققة ولا شك فيها.

أما حين يكون الحال بين المسلم والمسلم فقد عبر بقوله "يأمره بتقوى الله" لأن المحبة بين المؤمنين أحيانا تكون غبر متحققة، وذلك لما قد تنطوي عليه النفس البشرية من مشاحنات بسبب أمر من أمور الدنيا وخاصة إذا لم يكن المرء متحليا بالإيمان الحق الذي يدعو صاحبة إلى مكارم الأخلاق ومن هنا اختلف تعبيره ﷺ.

وقد جاء تعبيره ﷺ مرة بالماضي في قوله: "أوصى" لأن الأمر هنا وهو الوصية بين محب وآخر لذا كان التعبير بالماضي الذي يفيد تحقق الأمر وأنه قد حدث بالفعل وذلك رغبة منه ﷺ في حدوث ذلك فيما بين المسلم والمسلم.

والتعبير بالمضارع الذي يفيد تجدد الفعل في قوله "يأمره" فيه إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه الحال فيما بيننا نحن المؤمنين من المداومة على الأمر بالتقوى من وقت لآخر، كلما سنحت الفرصة ومتى استوجب الحال ذلك.

---

(١) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: ١/ ٤٠٧ .

وفي قوله "يأمره" استعارة حيث شبه النصح بالأمر بجامع الإلزام في كل لأن الأمر لا يكون إلا من الأعلى إلى الأدنى لكنه ﷺ آثر لفظ الأمر إشارة منه ﷺ إلى أهمية الأمر بالتقوى، وأنه أمر لا تهاون فيه فيما بيننا ولا ينبغي أن يكون مجرد كلمة عابرة تقال وينتهي الأمر، بل لا بد من التأكيد عليه.

والتقوى [١] معناها كما قال الإمام علي- رضي الله عنه- هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

والأمر في قوله ﷺ "فاحذروه"[٢] يحمل في طياته نصحاً وإرشادًا منه ﷺ، فهو ﷺ حريص على أمته أشد الحرص ، حريص على ما ينجيها من النيران التي يكون السبب في دخولها معصية الله ﷻ واقتراف أي أمر قد حذرنا فيه.

واستعماله ﷺ للموصول "ما" للتعميم أي كل ما حذركم الله منه، ونجد هنا في هذا المقام تأثيره ﷺ بالهدي القرآني.

---

(١) التقوى من وقي: وقاه الله وقيا ووقاية وواقية: صانه، وقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى . لسان العرب ١٥ / ٤١٠ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) – الناشر: دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ . المعجم الوسيط : ٢/ ١٠٥٢ مجمع اللغة العربية بالقاهرة – (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) – الناشر: دار الدعوة .

(٢) حذر: الحذر والحذر: الخيفة. ورجل حذر: متيقظ شديد الحذر والفزع ، والتحذير التخويف . مختار الصحاح : ٦٨ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) – المحقق: يوسف الشيخ محمد – الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا – الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م . تاج العروس من جواهر القاموس ١٠/ ٥٦٨ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) – المحقق: مجموعة من المحققين – الناشر: دار الهداية.

فقد اقتبس ﷺ هذا الكلام من قوله تعالى: "وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ"[١]

وقوله ﷺ "ولا أفضل من ذلك نصيحة" يؤكد ما ذكرته آنفا من أن المقصود بالأمر النصح والإرشاد .

والتعبير باسم الإشارة "ذلك" أفاد الإيجاز والاختصار، فقد أغنى عن إعادة الكلام السابق وهذا من ملامح بلاغته ﷺ "فمن المزايا البارزة لأسماء الإشارة أنها تعين المتكلم على التركيز، والإيجاز وتفادي التكرار الذي يترهل به الأساليب، ويتثاقل به وثوبها إلى القلوب، فقد تجد الباحث يعرض المسألة بتفاصيلها، ثم يحتاج إلى إضافة قيد، أو ما يشبهه مما يعوزه إلى الإعادة، وحينئذ تسعفه أسماء الإشارة، فيسلك سبيلا غير سبيل التكرار ... ثم إن هذه الطريقة تكثر في كتاب الله، وقد تجد اسم الإشارة في بعض الآيات يلخص، ويطوي صفحة كاملة من الأوامر، والنواهي بل أكثر من صفحة"[٢] .

وقوله ﷺ "ولا أفضل من ذلك نصيحة"، "ولا أفضل من ذلك ذكرى" من باب التقسيم[٣] فقد قسم ﷺ البشر إلى صنفين: من كان مقارفًا لهذا الذنب وهو الاقتراب مما حذر الله منه أو الوقوع فيه . وهذا يناسبه قوله: "ولا أفضل من ذلك نصيحة" أما قوله "ولا أفضل من ذلك ذكرى" فهو لمن لم يقارف، فالذكرى لهذا النوع من البشر تجعله يثبت على إيمانه، بل تقويه وتجعله يتغلب على نفسه وعلى شيطانه.

---

(١) سورة آل عمران : آية ٣٠ .

(٢) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني ٢٠٧٠، ٢٠٨ – محمد محمد أبو موسى – الناشر: مكتبة وهبة – الطبعة: السابعة .

(٣) التقسيم الصحيح: أن تقسّم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه؛ الصناعتين: ٢٦٦. سر الفصاحة : ٢٣٥ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ)– الناشر: دار الكتب العلمية – الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م .

وقوله "وإنه تقوى" أي الكلام السابق فالضمير عائد عليه والتأكيد رغبة منه ﷺ على التأكيد على هذا ، والتوكيد هنا لا يرجع إلى حال المخاطب وإنما يرجع إلى حال المتكلم ﷺ، فقد أراد أن يؤكد على أهمية ذلك الأمر الذي هو التواصي بالتقوى، وأن فيه حماية عظيمة وصيانة لمن عمل به.

وتنكير كلمة "تقوى" تفخيماً وتعظيماً لشأنها فلا شك أن العمل بهذا الكلام فيه صيانة عظيمة ووقاية للنفس مما يضرها .

وقد يكون التنكير للنوعية[1]، فهو نوع خاص من الوقاية والحماية لا يرى قد ضمنه الله ورسوله.

وحذف متعلق "تقوى" حتى تذهب النفس في تقديره كل مذهب ، فهو يحتمل أن يكون تقوى من عذاب الله أو من غضبه أو من الهلاك في الدنيا قبل الآخرة .

وتنكير "وجل ومخافة"[2] للتفخيم والتعظيم، فإذا كان العمل مصحوبًا بهذين الأمرين: الوجل والمخافة، ويلحظ هنا دقة استخدامه ﷺ للمفردة، فهناك فرق بين الخوف والوجل، فالوجل: عدم الاطمئنان، وفي "القرآن (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أي إذا ذكرت عظمة الله وقدرته لم تطمئن قلوبهم إلى ما قدموه من الطاعة وظنوا أنهم مقصرون فاضطربوا من ذلك وقلقوا فليس الوجل

---

(١) النوعية : أي القصد إلى نوع منه؛ لأن التنكير كما يدل على الوحدة شخصًا يدل عليها نوعًا – الإيضاح : ٣٥/٢ .

(٢) الوَجَل: الْفَزَع. المحكم والمحيط الأعظم ٥٣٣/٧ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]– المحقق: عبد الحميد هنداوي – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .وجل الرجل يوجل وجلا إذا قلق ولم يطمئن . الفروق اللغوية : ٢٤٣ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) – حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم –الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر .

من الخوف"[1] فالخوف والله أعلم يكون من توقع مضرة أما الوجل فهو كما ذكرت .

وتنكير "عون و صدق" للتفخيم والتعظيم، فشأن هذين الأمرين عظيم، فلا يعلم كنه ذلك العون إلا الله سبحانه، فحقيقته لا يحيط بها علم ولا عقل، لأن ذلك العون من الله ﷻ، وذلك أن من أراد الآخرة وصدق في طلبها أتته الدنيا وهي راغمة ، فمن أعانه الله على الآخرة فقد أعانه على الدنيا والآخرة .

والتعبير بالمضارع " يصلح " قصدا منه ﷺ على المداومة على الإصلاح وتجدده منه.

وبين "السر والعلانية " طباق ولا شك له دوره في إبراز المعنى وتقويته ، وبضدها تتميز الأشياء ..

وتقديم السر على العلانية لأنه الأهم وهو الأولى بالإصلاح وذلك لأن العبد إذا ضعف إيمانه قد يفعل في السر ما يستحي أن يفعله في العلانية وذلك لأنه يراقب الخلق دون الخالق، كما أن السر إذا صلح ؛ يتبعه صلاح العلانية.

وقوله "لا ينوي بذلك إلا وجه الله " احتراس[2]، وذلك أن الكلام قد تم عند قوله "أمر السر والعلانية" ولكنه أتى بهذا القيد وذلك لأن هناك أعمالا لا يراد بها وجه الله فهي غير داخله في هذا الأمر .

وقوله " لا ينوي " بيّن أن النية شرط أساسي في قبول العمل ويترتب على هذه النية كون العمل صالحًا أو غير صالح .

---

(١) الفروق اللغوية : ٢٤٣ .

(٢) هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دخل، فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ٢٤٥- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ) – تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف – الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي .

وقوله "وجه الله" فيه إيجاز بالحذف إذ التقدير "رؤية وجه الله".

كما أن قوله "وجه الله" مسبب عن دخول الجنة، وذلك لأن هذه الرؤية لا تكون إلا بعد دخول الجنة ، فهي أي الرؤية مسببة وناتجة عن دخول الجنة.

وتنكير "ذكرا" للتفخيم والتعظيم من شأن هذا الذكر، فلا شك أن هذا الذكر له شأن عظيم فهو ذكر طيب وثناء عطر.

"وبين ذكرًا وذخرًا" جناس لاحق[1] والاختلاف هنا في نوع الحرف بين الكاف والخاء، وهو من الأحق لأن الحرفين متباعدان في المخرج .

وفي قوله "يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت" مقابلة، حيث قابل بين ذكرا وهو الثناء الحسن والسيرة العطرة في الدنيا (وهذه منفعة عاجلة) وبين ذخرا وهو ما يدخر للمؤمن من الحسنات لينتفع بها في آخرته (وهذه هي المنفعة الآجلة).

والتعبير بالافتقار في قوله "يفتقر" [2] يدل على الحاجة الشديدة إلى العمل الصالح في وقت يكون الميزان بالذرة "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه".

---

(١) الجناس اللاحق هنا ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه . خزانة الأدب وغاية الأرب : ٧١/١ – ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ) – المحقق: عصام شقيو – دار ومكتبة الهلال– بيروت، دار البحار– بيروت – الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م . جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ٣٢٧ – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) – ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي – الناشر: المكتبة العصرية، بيروت .

(٢) (فقر) الفاء والقاف والراء أصل صحيح يدل على انفراج في شيء، من عضو أو غير ذلك. من ذلك: الفقار للظهر، والفقير: المكسور فقار الظهر. وقال أهل اللغة: منه اشتق اسم الفقير، وكأنه مكسور فقار الظهر، من ذلته ومسكنته. معجم مقاييس اللغة : ٣٤٤/٤– أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) – المحقق: عبد السلام محمد هارون –: دار الفكر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

كما أن التعبير بـ "يفتقر" صوّر حالة المرء يوم القيامة وما هو عليه من الذل والانكسار بسبب الحاجة إلى عمل يثقل به ميزانه .

والتعبير بالموصول "ما" أفاد التعميم أي أن المرء يوم القيامة يكون مفتقرَا إلى أي عمل صالح عمله صغيَرا كان أو كبيَرا .

ومتعلق قوله "ما قدم" محذوف لأنه معلوم وتقديره "من عمل صالح" وذلك لأنه لا يفتقر إلا إلى العمل الصالح، أما العمل السيء فيتبرأ المرء منه .

وقوله "وما كان من سوى ذلك" كناية عن العمل السيء الذي يسوء صاحبه أن يراه في صحيفته، ولم يصرح به ﷺ تنفيراً منه .

كما أن التعبير بالموصول "ما" للتحقير والتهوين من شأن ذلك العمل السيء، فقد تحاشى ﷺ التصريح به لكيلا يكون للعمل السيء وجود حتى في مجرد الذكر ويرسخ في ذهن الصحابة أنه لاوجود لغير العمل الصالح في حياتهم.

والتعبير بالمضارع "يفتقر" حتى تكون الصورة ماثلة أمام أعين الصحابة ومن يأتي من بعدهم حتى يستشعروا خطورة ذلك الأمر وهو مدى الحاجة إلى العمل الصالح مهما قل أو صغر.

وقوله "يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد" اقتباس من القرآن الكريم ولا عجب في ذلك، فقد كان ﷺ قرآنا يمشي على الأرض وكان يتمثل القرآن في كلامة وأفعاله وأخلاقه .

والقسم في قوله "والذي صدق قوله، وأنجز وعده" جاء لتأكيد الكلام السابق وأنه حق لا محالة، والقسم هنا لتحقيق القسم والمقسم عليه، ويراد بالقسم توكيده وتحقيقه، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها.[1] والأمر هنا كذلك، فالمقسم عليه هو أنه لا خلف لوعده سبحانه

(١) التبيان في أقسام القرآن ٢ – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) – المحقق: محمد حامد الفقي – دار المعرفة، بيروت، لبنان .

من الأمور الغائبة والخفية فجاء القسم ملائما للمقام، والقسم يأتي في الأمور المهمة التي تحتاج إلى تأكيد، والتأكيد هنا راجع إلى حال المتكلم وليس إلى حال المخاطب، فقد حرص ﷺ على ترسيخ هذا الكلام في نفوس السامعين لذلك أتى بالقسم.

ويأتي جواب القسم قوله "لا خلف لذلك" فكل ما قاله ﷺ وأخبر به الصحابة واقع ومحقق لامحالة .

ودعم النبي ﷺ هذا الكلام بالقرآن حيث يقول تعالى: "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ"، فقد جاءت هذه الآية لتؤكد كلامه ﷺ السابق من أن الله منجز وعده لا محالة .

والتعبير باسم الإشارة " ذلك " فيه إيجاز فقد أغنى عن تكرار كلام كثير، وهذا من معالم بلاغته ﷺ.

وكرر النبي ﷺ الأمر بالتقوى فيقول "واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله" وذلك تأكيدًا على أهميتها، فالمقام هنا مقام الإطناب، فالتكرار جاء لغرض أراده النبي ﷺ، وابن الأثير يقول وهو يتكلم عن التكرار في القرآن "فإن رأيت شيئا منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه؛ فانظر إلى سوابقه ولواحقه؛ لتتكشف لك الفائدة منه"(١) فلابد أن نمعن النظر في الكلام حتى يتبن لنا أن فيه تكرارًا أم لا.

والأمر في قوله ﷺ "اتقوا الله" يحمل في طياته نصحاً وإرشادًا، وإن كان الأمر منه ﷺ ملزماً للسامعين.

وتتجلى بلاغة الإيجاز في قوله في "عاجل أمركم وآجله" حيث عبر عن كل أمور الدنيا بقوله "عاجل أمركم" وعن أمور الآخرة بقوله "وآجله".

وبين "عاجل وآجل" طباق، والجمع بين الضدين هنا للتنبيه على أنه ينبغي مراقبة الله في أمور الدنيا وأمور الآخرة.

---

(١) المثل الثائر ١٤٩/٢ .

وبين السر والعلانية طباق أيضاً حيث بين الطباق أهمية مراقبة الله في السر والعلانية، فالجمع بين الضدين هنا أيضاً لبيان أن تقوى الله يجب مراعاتها في السر والعلن.

وتقديم السر على العلن لأنه الأهم والأولى بأن يراقب العبد فيه ربه، لأنه لا يطلع عليه إلا الله ﷻ.

ويقتبس النبي ﷺ من القرآن حيث يقول (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا)[١] حيث يبين أن تقوى الله تكفر السيئات وتضاعف الأجر وتجعله عظيما .

ثم بين أثرًا آخرًا لتقوى الله وطاعة الله ورسوله حيث يقول مقتبسا من القرآن (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)

وهذا تدعيم منه ﷺ وتأكيد لكلامه السابق وفى هذا حث منه ﷺ على التجلي بالتقوى ، حيث بين الأثر المترتب على التحلي بها و في هذا ترغيب للسامع في تمثل هذا الخلق الذي هو تقوى الله في السر والعلن.

وهنا تتجلى بلاغة الإطناب عنده ﷺ حيث يستدعى المقام ذلك، فقد كرر قوله "وإن تقوى الله" أكثر من مرة، وذلك لأنه أراد أن يرسخ هذا الأمر الذي هو تقوى الله في نفوس المخاطبين ويؤكد عليه.

وكان يمكن التعبير عن تقوى الله بالضمير لتقدم ذكرها لكنه ﷺ وضع المظهر موضع المضمر اهتمامًا بشأن ذلك المظهر وكمال العناية به، و"العدول إليه عن المضمر .. لزيادة التمكين، أي جعل المسند إليه متمكنًا عند السامع؛ لأن في الإظهار من التفخيم والتعظيم ما ليس في الضمير، والمقام الذي يقتضي التمكن هو كون الغرض من الخطاب تعظيم المسند إليه"[٢] الذي هو تقوى الله .

---

(١) سورة الطلاق : آية : ٥ .

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ٢/ ٨٤ محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) – المحقق:=

فيقول مؤكدًا ما سبق من كلامه "وإن تقوى الله توقي مقته، وتوقي عقوبته، وتوقي سخطه"[١]

ويلحظ هنا التدرج في ترتيب الجمل في بيانه لمنافع التقوى، فبدأ بكونها تقي من غضب الله الشديد، والغضب إذا اشتد استدعى العقوبة، ثم بعد ذلك يكون سخطه، فهي تقى من ذلك كله.

ويلحظ هنا ذكره ﷺ للمسند، فكان من الممكن أن يقال وإن تقوى الله توقي مقته عقوبته، وسخطه "لكنه آثر ذكر الفعل الذي هو المسند اهتماما به، حتى يتقرر في ذهن المخاطبين ذلك الأمر المهم وهو الوقاية والحماية من غضب الله وسخطه.

وتتجلى دقته ﷺ في اختيار اللفظة المفردة التي تعبر عن المعنى المراد أدق تعبير حيث يقول: "وتوقي سخطه" فجاء بالسخط دون الغضب وذلك لأن السخط "السخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير ... ويستعمل الغضب فيهما"[٢] فجاءت اللفظة معبرة أدق تعبير.

وقد كرر الرسول ﷺ كلامه عن التقوى رغبة منه ﷺ في ترسيخ هذا الكلام في نفوس الصحابة اهتماماً منه ﷺ بأمر التقوى .

=محمد عبد المنعم خفاجي – الناشر: دار الجيل – بيروت – الطبعة: الثالثة . النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق ٣١٣– حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (المتوفى: ١٤٢٩هـ) – دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر – الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.

(١) المقت أشد الإبغاض. لسان العرب ٩٠/٢– : تاج العروس من جواهر القاموس ٩٥/٥، السخط : نقيض الرضا، وأسْخَطَه: أغْضَبَه. القاموس المحيط ٦٩٩– مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) – تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

(٢) الفروق اللغوية : ١٣٠ .

وفي إسناد الفعل " توقي .. "إلى التقوى في قوله" وإن تقوى الله توقي مقته .."، مجاز عقلي علاقته السببية فقد أسند الفعل هنا إلى غير فاعله الحقيقي، حيث أسند إلى سببه، فقد جعل ﷺ التقوى سببًا قويًا للوقاية من مقت الله وسخطه حتى كأنه الفاعل.

ولا يخفى علينا أثر السجع في هذه الجمل فقد أحدث موسيقى وطربًا، مما يستميل السامع ويحمله على الإصغاء .

كما أنه ﷺ قدّم الجمل السابقة على قوله "وإن تقوى الله تبيض الوجه وما بعدها".

وذلك لأن دفع المضار مقدم على جلب المنافع ، فبدأ صلى الله عليه وسلم بما يدفع الضرر أولا ، ثم ذكر بعد ذلك المنافع المترتبة على التقوى .

ويستمر النبي ﷺ في تأكيد كلامه للترغيب في تقوى الله، حيث يقول ﷺ" وأن تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة".

فقد بين ﷺ الأثر الحسي الذي تليه الخلق للتقوى وهو أنها تبيض الوجه ولا مانع أن يكون المقصود بالبياض هنا البياض الحسي، بالإضافة إلى البياض المعنوي وهذا لا يتأتى لأي أحد.

ثم بين ﷺ بعد ذلك الأثر المعنوي وهو رضا الرب والرب إذا رضي أعطى بلا حدود، وأدهشنا بعطائه، ورفع الدرجات

وقد فصلت جملة "خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله" عما قبلها وذلك لما بينهما من كمال الانقطاع، فالجمل التي قبلها وهي "فإن تقوى الله تبيض الوجه ..." وما عطف عليها خبرية لفظا ومعنى والتي معنا "خذوا" إنشائية لفظا ومعنى.

ويمكن أن يكون الغرض من الأمر في قوله ﷺ "خذوا" النصح والإرشاد فهو ﷺ حريص على أمته ويرشدها إلى ما يصلحها دنيا وأخرى.

ويمكن أن يكون الغرض من الأمر الإباحة[1]، فقد يتوهم السامع عند سماعه الأمر بالتقوى أن الأخذ بحظ من الدنيا يتنافى مع ما أمر به النبي ﷺ، فجاء الأمر ليبين إباحة الأخذ بمتاع الحياة الدنيا.

وقوله "بحظكم" فيها إيجاز قصر فقد جمعت كلمة "حظكم" معاني كثيرة، حيث دلت على إباحة الاستمتاع بكل ما أحل الله من طيبات الحياة الدنيا، من مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك من ملذات الحياة التي أحلها الله ﷻ من غير إسراف ولا تبذير.

وقد عطفت جملة "ولا تفرطوا"[2] على جملة "خذوا" وذلك لما بينهما من التوسط بين الكمالين فكلتا الجملتين إنشائية .

والنهي في قوله ﷺ "ولا تفرطوا" يحمل في طياته إرشادا للأمة في عدم التفريط في جنب الله، سواء فيما فرض أو فيما حرم، فلابد أن نلتزم حدوده.

فهو ﷺ ينصحنا أن نأخذ بحظنا من الدنيا وما فيها من ملذات مباحة من غير إسراف، كذلك ينهانا عن التفريط والتهاون في جنب الله .

وقد فصلت جملة "قد علمكم كتابه" عما قبلها وذلك لما بينهما من كمال الانقطاع، فالجمل التي قبلها إنشائية وهذه خيرية .

والإتيان بقد التي تفيد التحقيق بدخولها على الفعل الماضي ، أفادت تحقق ذلك الكلام، فالله ﷻ قد بين لنا كل شيء في كتابه، حيث يقول تعالى "مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ" وذلك حتى لا يكون على الناس على الله حجة بعد ذلك.

---

(١) الإباحة : إذا كان المخاطب يتوهم أن الفعل محظور عليه فأذن له في الفعل مع عدم الحرج في الترك . الإيضاح : ٣ /٨٥ .

(٢) التفريط: التضييع، من فرط الأمر إذا سبق على غير وجه الصواب . الكليات ١٠٣. وقيل التقصير، لأنه إذا قصر فيه فقد قعد به عن رتبته التي هي له.

وجاءت جملة "نهج لكم سبيله"[1] معطوفة على ما قبلها "قد علمكم" وذلك لما بينهما من التوسط بين الكمالين فالجملتان خبريتان لفظا ومعنى، وفعلهما ماض، وهذا من محسنات الوصل.

ويلاحظ أن جملة "ليعلم الذين صدقوا" جاء التعبير فيها باسم الموصول "الذين" وجاءت جملة الصلة فعلها ماضيا، وذلك للدلالة على تحقق ذلك الفعل الذي هو الصدق في هؤلاء القوم وملازمتهم له ، حتى اشتهروا به وصار ديدنهم، فإذا قيل الذين صدقوا: لا ينصرف الذهن إلا إليهم.

أما جملة "ويعلم الكاذبين" فقد جاء المفعول اسما وهو اسم فاعل بصيغة الجمع، ليدل على ثبوت صفة الكذب لهؤلاء القوم، فهي لا تنفك عنهم تلك الصفة بحال من الأحوال، فهم لا يصدقون أبدًا في أي شيء.

(وَإِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا)[2]

وقوله "فأحسنوا كما أحسن الله إليكم" اقتباس منه ﷺ من القرآن الكريم .

والأمر في قوله ﷺ "فأحسنوا كما أحسن الله إليكم" للنصح والإرشاد فهو ﷺ حريص على إرشادنا إلى ما يرضي الله عنا.

والإحسان درجة عالية من الإيمان، وقد سئل النبي ﷺ عن الإحسان فقال: أن تعبد الله كأنك تراه، والإحسان من جانب العبد ليس مبادرة منه لربه، إنما المحسن أولاً هو الله ﷻ.

والتشبيه في قوله "كما أحسن الله أليك" بيّن أن على العبد أن يكون محسناَ في كل شيء حتى يضاهي إحسان الله إليه .

فالغرض من التشبيه هو بيان المشبه وتوضيحه وذلك لأن المشبه مجهول لدى المخاطبين ، فالإحسان أنواع ودرجات ، فجاء التشبيه ليبين أنه

---

(١) (نَهَجَ) الطَّرِيقَ أَبَانَهُ وَ أَوْضَحَهُ. مختار الصحاح : ٣٢٠ .

(٢) الأدب المفرد: ١٩٩ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) – المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩ .

ينبغي أن يكون إحسان العبد كإحسان الله إليه، وفى ذلك مدعاة للتفكر والتدبر من الإنسان في أمر نفسه ليستشعر نعماء الله عليه فتتحرك نفسه للعبادة، وليست العبادة فحسب بل للإحسان فيها.

وقد جاء متعلق الفعل "أحسنوا" محذوفاً، والغرض من ذلك هو إرادة العموم حتى يشمل الإحسان كل أمور الإنسان من العبادة التي بينه وبين الله والمعاملات التي بينه وبين الخلق حتى يصل إلى الحيوانات والجمادات .

وهذا جانب من جوانب بلاغته ﷺ، فقد أوجز ومع ذلك حوت العبارة معاني كثيرة .

وعن بلاغة مثل هذا الحذف يقول الإمام عبد القاهر "رب حذف هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد"(١)

ثم قرن النبي ﷺ الأمر بمعاداة الأعداء بالأمر بالإحسان حيث يقول ﷺ "وعادوا أعدائهم" ، فكأن معاداة أعداء الله من الإحسان إلى الله ﷻ، وهنا يؤكد النبي ﷺ على أمر هام وهو أنه لابد أن يكون الحب والبغض في الله ولله ، فيجب علينا معاداة أعدائه ومحبة وموالاة أوليائه .

وقد عُطفت جملة "وجاهدوا في الله حق جهاده" على ما قبلها "وعادوا أعدائه" من عطف العام على الخاص للعناية بذلك الخاص والتأكيد على أهميته، وذلك بذكره مرتين: مرة بلفظه، ومرة مندرجاً تحت العام وهو الجهاد.

وجاء الأمر بالجهاد على هذا النحو "وجاهدوا في الله حق جهاده" فلم يقل ﷺ "جاهدو" فحسب وإنما قال "حق جهاده" وذلك للتأكيد على أهمية الجهاد، وكذلك أهمية الإخلاص فيه.

فقوله "حق جهاده" تأكيدٌ للفعل، فهو ﷺ أراد بذلك التأكيد أن على العبد استقصاء الطاقة والقدرة وبذل كل ما في وسعه من المال والنفس في أمر الجهاد، حتى يحصل له الأجر العظيم.

---

(١) دلائل الإعجاز ١٥١ .

وقد فصلت جملة "هو اجتباكم"[1] عما قبلها "وجاهدوا" وذلك لما بينهما من كمال الانقطاع، فالجملتان مختلفتان في الخبرية والإنشائية، فالأولى "وجاهدوا" إنشائية، والثانية "هو اجتباكم" خبرية.

ويمكن أن يكون الفصل لشبه كمال الاتصال، حيث جاءت جملة "هو اجتباكم" بمثابة جواب عن سؤال أثارته الجملة التي قبلها "وجاهدوا في الله حق جهاده"، فكأن سائلا سأل لماذا نأتمر بهذه الأوامر ونمتثل لها؟ فكان الجواب والعلة قوله "هو اجتباكم" فكأن هذه الأوامر تؤهلنا لمنزلة ومكانة اجتبانا الله لها.

ويظهر تأثره ﷺ بالقرآن الكريم في قوله: "اجتباكم وسماكم".

ثم علل ﷺ الاجتباء بقوله "ليهلك من هلك عن بينة"، وهنا إيجاز بالحذف أي أنه فعل ما فعل، هذا إيجاز بالحذف، ويلحظ هنا الترابط بين أجزاء الخطبة عن طريق العطف تارة والتعليل تارة أخرى.

وقوله "ولا قوة إلا بالله" ليبين أنه لابد من طلب العون والقوة من الله ﷻ، فالأمر كله راجع إليه، فليس بمقدور الإنسان أن يهتدي للحق دون الرجوع إلى الله وطلب العون منه.

وطريق القصر جاء بالنفي والاستثناء ذلك لأن الأمر وهو إمكانية الاهتداء أو العمل الصالح أمر يجهل الانسان كنهه، فهو لا يملك ولا يمكنه شيء من ذلك إلا بقوة وعون منه سبحانه.

وأسلوب القصر هنا قد أحكم السياق مع ما فيه من الإيجاز، فجملة القصر بمثابة جملتين.

ويلحظ دقة التعبير في قوله "فأكثروا من ذكر الله" فلم يقل اذكروا الله وإنما قال "أكثروا" فالأمر هنا بالإكثار وليس مجرد الذكر.

---

(١) اجتباه : اصطفاه واختاره . لسان العرب ٣٠/١٤ .

والإكثار من ذكر الله يعين الانسان على أمور دينه ودنياه، كما أن كثرة الذكر تمده بالقوة والتوفيق، هذا فيما يخص القول، أما الفعل فقد أمر النبي ﷺ بالعمل لما بعد الموت.

فالإكثار من ذكر الله والاستعداد للموت يعينان على الجد والاجتهاد في العمل والعبادة.

وقوله "فإنه" من أصلح بينه وبين الله يكفيه" من وضع المضمر موضع المظهر، فضمير الشأن في قوله " فإنه ليس له عائد ومرجع يعود عليه، والسر في ذلك هو تفخيم الشأن أو القصة وتثبيتها فى نفوس السامعين "وذلك لأن مجيء الضمير مبهماً بدون عائد متقدم يجعل المخاطب ينشغل به ويبحث عما يفسره، فيسغي إلى الكلام، وعندما يعثر على المفسر يقع في النفس موقعاً حسنا، فيقر بها ويثبت، لأن للبيان بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال أثراً حسناً في النفس ووقعاً جميلاً، يوضح هذا أنك لو وضعت الاسم الظاهر موضع الضمير فقلت "من يصلح بينه وبين ربه" فإنك تجد الفخامة قد ولت والروعة قد زالت.(١)

ويلحظ أن فعل الشرط "أصلح" جاء ماضياً للدلالة على وقوعه وتحققه من جانب العبد وجاء الجواب "يكفه" مضارعاً ليشعر بتجدد الكفاية من الله فيما يقع بين العبد وبين الناس.

وجاءت جملة "ذلك" مفصولة عما قبلها لأنها بيان لما قبلها، فقد أوضحت أن كيفية كفاية الله للعبد وقدرته على ذلك إنما هو راجعُ لهيمنته سبحانه وتعالى على خلقه فهو سبحانه يقضي ولا يقضى عليه .

والتعبير باسم الإشارة "ذلك" إيجاز قصر فقد أغنى عن كلام كثير محذوف، ويمكن أن يكون تقديره أنه فعل ما فعل لأنه ...

---

(١) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني ٢٠٠ – د. بسيوني عبد الفتاح فيود – مؤسسة المختار – الطبعة الثانية – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

كما أن اسم الإشارة جاء كأداة ربط بين الجملتين، فبه جاء الكلام مترابطا متسقا.

وقوله "ويملك من الناس" حذف فيها المفعول أو مفعول الفعل يملك، وذلك لقصد التعميم، أي أنه سبحانه يملك من الناس كل شيء قل أو كثر.

وكذلك حذف المفعول في قوله "ولا يملكون منه" لقصد العموم، فالناس لا يملكون من الله أي شيء .

وجملة "الله أكبر" جاءت مؤكدة للكلام الذي قبلها، لذلك جاءت مفصولة عنه والفصل لكمال الاتصال، فهي تؤكد علوه ﷻ على خلقه، فهو سبحانه له الكبرياء في السماوات والأرض.

وجاءت جملة "ولا قوة إلا بالله" معطوفه على جملة الله أكبر على سبيل التتميم لمعنى الكلام السابق(١).

(١) التتميم عبارة عن الإتيان في النظم والنثر، بكلمة إذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه . خزانة الأدب وغاية الأرب: ٢٧١/١. تحرير التحبير ١٢٧.

المبحث الثاني

أول خطبة للنبي ﷺ بمكة

كانت أول خطبة للنبي ﷺ بمكة لما نزل قوله تعالى: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) فكان أول ما فعله رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية أنه دعا بني هاشم، فحضروا ومعهم نفر من بني عبد المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلا، فبادره أبو لهب وقال: وهؤلاء هم عمومتك وبنو عمك، فتكلم ودع الصباة، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحدا جاء على بني أبيه بشر مما جئت به، فسكت رسول الله ﷺ، ولم يتكلم في ذلك المجلس.

ثم دعاهم ثانية وقال :

((الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له))، ثم قال: ((إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً)).[1]

بدأ النبي ﷺ بالحمد والثناء على الله ﷻ فقال: "الحمد الله أحمده وأستعينه".

الحمد لله: قصر الحمد على الله سبحانه عن طريق تعريف الطرفين.

كما أفاد أن الحمد كله لله أي جنس الحمد وصنوفه كلها لله سبحانه، فلا ينبغي أن يصرف الحمد لغيره سبحانه.

والتعبير بالجملة الاسمية لإفادة ثبوت الحمد له سبحانه.

---

(١) الكامل في التاريخ ٦٥٩/١ – أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري – دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

وجاءت جملة " أحمده " مفصولة عما قبلها وذلك لما بينهما من كمال الاتصال، فجملة أحمده توكيد لجملة "الحمدلله".

والتعبير بالفعل المضارع "أحمده" يفيد تجدد الحمد منه صلى الله مراراً وتكرار.

وكذلك التعبير بالمضارع "أستعينه" يفيد أنه ﷺ تتجدد منه الاستعانة، حيث يطلب العون من الله سبحانه في كل ما يطرأ إليه من أمور.

والفعل "وأؤمن به" جاء كذلك مضارعاً يفيد تجديد الايمان، وكأنه ﷺ يعلمنا أن نجدد إيماننا به سبحانه فقد يطرأ على المرء أمور لا نعلم حقيقتها ربما كان وراء التلفظ بها شرك نحن لا نلم، فمن هنا ينبغي أن نجدد إيماننا.

وكذلك الفعل "أتوكل" جاء مضارعاً للدلالة على تجدد التوكل وديمومته منه ﷺ.

وفي إعلانه ﷺ للشهادة يلحظ أنه قال "وأشهد أن لا ألـه إلا الله وحده لا شريك له" ولم يقل وأن محمد عبده ورسوله ، فحذف الشق الثاني من الشهادة مراعاة للمقام وحال المخاطبين فهم أي قريش كانوا ينكرون الوحدانية ويعتقدون أن هناك آلهة غير الله من الأصنام التي كانوا يعبدونها تقرباً إلى الله سبحانه.

وأسلوب القصر فى قوله "وأشهد أن لا ألـه إلا الله" أفاد قصر الألوهية على الله وحده قصر صفة على موصوف قصراً حقيقياً.

ثم أكد القصر بقوله "وحده" وهذا التأكيد يناسب حال الإنكار التي عليها كفار قريش فهم ينكرون أن للكون إلها واحدا، بل هناك آلهة متعددة لهم وهي اللات والعزى ومناة وهبل، لذا جاء التوكيد مراعاة لحال الإنكار.

وجاءت جملة "لا شريك لـه"، كذلك توكيداً لوحدانية الله سبحانه فقد نفت جنس الشريك عنه سبحانه تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

و"لا" هنا نافية للجنس فقد نفت جنس الشريك عنه سبحانه، فهو ﷺ يعلنها واضحة لهؤلاء الكفار أنه إلاه واحد لا شريك له أيا كان ذلك الشريك. ثم قال إن الرائد لا يكذب أهله .

وقد استهل النبي ﷺ خطبته بقوله " إن الرائد لا يكذب "[1] وقد بدأها بالمثل لما يعرفه النبي ﷺ من تأثير المثل في نفوس السامعين.

قيمة الأمثال: "إنها مرآة ترى الإنسان وجهه وحقيقة نفسه، وما فى حياته من أشياء، كما تريه ما خلفه من مناظر ومشاهد يعجز أن يراها بغيره ، فالأمثال مرآة صادقة للحياة، وقد ظهرت بأنواعها العديدة فى آيات الله"[2]

وَلما عرفت الْعَرَب أَن الْأَمْثَال تتصرف فِي أَكثر وُجُوه الْكَلَام وَتدْخل فِي جلّ أساليب القَوْل أخرجوها فِي أقواها من الْأَلْفَاظ ليخف اسْتِعْمَالهَا ويسهل تداولها فَهِيَ من أجل الْكَلَام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلَّة ألفاظها وَكَثْرَة مَعَانِيهَا ويسير مئونتها على الْمُتَكَلّم مَعَ كَبِير عنايتها وجسيم عائدتها، وَمن عجائبها أَنَّهَا مَعَ إيجازها تعْمل عمل الإطناب وَلها روعة إِذا برزت فِي أثْنَاء الْخطاب وَالْحِفْظ مُوكل بِمَا رَاع من اللَّفْظ وندر من الْمَعْنى، والأمثال أَيْضا نوع من الْعلم منفرد بِنَفسِهِ لَا يقدر على التَّصَرُّف فِيهِ إِلَّا من اجْتهد فِي طلبه حَتَّى أحكمه وَبَالغ فِي التماسه حَتَّى أتقنه "[3]

و"الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاوَلَتْ من حاجاتها في المنطق بكنايةٍ غير تصريح فيجتمع لها

---

(١) الرائد الَّذِي يتَقَدَّم الْقَوْم لطلب المَاء والكلأ لَهُم فَإِن كذبهمْ أفسد أمرهم وأمر نَفسه مَعَهم لِأَنَّهُ وَاحِد مِنْهُم ، يضْرب مثلا للنصيح غير الْمُتَّهم على من تنصح لَهُ وَأَصله فِي الْعَرَبِيَّة من قَوْلهم راد برود إِذا جَاءَ وَذهب وَنظر يَمِينا وَشمَالًا وَمن ثمَّ قيل ارتاد الشَّيْء إِذا طلبه لِأَن الطَّالِب يتَرَدَّد فِي حَاجته حَتَّى ينالها ". جمهرة الأمثال : ٤٧٤/١ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥ هـ) – الناشر: دار الفكر – بيروت .

(٢) عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن : ١٧٨– على أحمد عبد العال الطهطاوى – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

(٣) جمهرة الأمثال ٤/١ .

بذلك ثلاث خلال: إيجازُ اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وقد ضربها النبي ﷺ وتمثَّل بها هو ومن بعده من السلف[1] .

وبعد البحث في المثل وجدت "الرائد لا يكذب أهله" لكن النبي ﷺ عمد إلى التوكيد لأن المخاطبين منكرون معاندون، لذا جاء بالتوكيد مراعاة لحالهم التي هم عليها من المكابرة والعناد.

ثم قال النبي ﷺ "والله الذي لا إلاه إلا هو"، حيث جاء بالقسم هنا أيضا تبعا لحال المخاطبين فالمقام مقام دعوة كفار وثنين اتخذوا أصناماً آلهة من دون الله فناسب القسم ذلك المقام.

والمقسم به هو اسم الجلالة "الله" ليعلنها لهم أن الإله هو الله .

ثم أكد ذلك الكلام بجملة الصلة ، حيث قال " الذي لا إلاه إلا هو " فجاء بأسلوب القصر ليفيد قصر صفة الألوهية على الله وحده دون سواه من قصر صفة على موصوف قصراً حقيقياً تحقيقياً.

ثم يأتي توكيد آخر في المقسم عليه وهو "إني رسول الله إليكم خاصة" حيث أكد الكلام بإن واسمية الجملة وذلك حتى يتأكد لديهم حقيقة أمره وأنه رسول حق من عند الله لهم.

وقوله ﷺ "إليكم خاصة"، رغبة منه ﷺ في استمالة هؤلاء النفر فاختار تلك اللفظة "خاصة" ليبين لهم المنزلة العالية التي حياهم الله بها.

وبين خاصة وعامة "طباق" والطباق له دوره في تحسين المعنى وإظهاره، حيث بين هنا أن هؤلاء القوم وهم قريش لهم خاصية ليست لغيرهم من الناس، لذا أرسل إليهم الرسول ﷺ خاصة .

ويتوالى التوكيد منه ﷺ في قوله "والله لتموتن" حيث أقسم بالله على أنهم سيموتون، والقسم هنا بالله اسم الجلالة ، وكذلك اللام الموطنة للقسم ونون

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٣٧٤/١ – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) – المحقق: فؤاد علي منصور – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

التوكيد في آخر الفعل "لتموتن"، وكل هذه المؤكدات لأن الخطاب هنا لمنكر، بل لأعتى النكرين .

وفي قوله "كما تنامون" تشبيه، حيث صور لهم حالة الموت بحالة النوم وكلاهما انقطاع عن الحياة، وأراد ﷺ بهذا التشبيه تقريب الصورة إلى نفوس السامعين، والعرب يدركون قدر التشبيه ودوره في إيصال المعنى مع ما فيه من الإيجاز.

فمجيئه ﷺ بهذا التشبيه الرائع بين أن أمر الموت على الله ليس بالعسير بل هو عليه هين.

كما أن التشبيه أغنى عن تفصيل كثير لا يحتمله المقام، فالقوم في حالة نفور وإعراض، لذا ناسب الايجاز الذي أداه التشبيه في ذلك المقام.

وبين جملة "لتموتن كما تنامون" وجملة "لتبعثن كما تستيقظون" مقابلة، حيث قابل بين الموت والبعث وبين النوم والاستيقاظ .

والمقابلة هنا قد عرضت كلا الأمرين في مضمار واحد وهذا مداعاة للتفكر والتدبر في كلا الأمرين لعل العقل يهتدي بشيء في النهاية.

وقد كرر النبي ﷺ لام القسم ونون التوكيد مع الفعل "لتبعثن" زيادة في التوكيد لهؤلاء المغرضين .

وقد صور النبي ﷺ البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم فكلاهما عودة للحياة مرة أخرى وهؤلاء القوم منكرون للبعث، لذا أكد النبي ﷺ في أول خطبة له على ذلك الأمر وصوره بصورة مألوفة للجميع .

والتشبيه هنا بين سهولة ذلك الأمر على الله ﷻ وكأن الأمر الذي يتكرر منكم حال نومكم واستيقاظكم أمر البعث لا يفرق عنه في شيء لسهولة الأمر ويسره على الله في علاه.

وقوله "ولتحاسبن بما تعملون" هذه هي المرحلة بعد البعث وهي مرحلة الحساب.

ويستمر التوكيد إلى نهاية الخطبة حيث يقول ﷺ وإنها الجنة أو النار، فالجنة والنار مترتبان على البعث الذي هم منكرون له.

وقوله "إنها" وضع للمضمر موضع المظهر، فالمضمر في قوله "إنها" ليس له مرجع يعود عليه وهو ضمير الشأن أو القصة .

وجاء به ﷺ للتفخيم والتعظيم من شأن الجنة والنار .

ويلحظ التدرج الطبيعي في ترتيب الجمل ، فالخطبة تنسال في عباراتها كالماء سلساله لتناسقها وترتيبها ترتيباً منطقياً.

كما يلحظ أن النبي ﷺ قد جاء بجمل قصيرة مسجوعة ، وذلك لأن العرب بطبيعتها تميل إلى السجع ، لأنه يحمل على الإصغاء ، ويستميل العقول والقلوب بخلاف غيره من الكلام غير الموزون. فهو ﷺ يريد أن يقرع آذان السامعين بتلك العبارات القصيرة الموزونة، لعلها تحدث أثرا في نفوسهم. و "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجا، ولا تكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الازدواج، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن؛ لأنه فى نظمه خارج من كلام الخلق[1].

(١) الصناعتين ٢٦٠

مقارنة بين الخطبتين

من حيث البدء:

- في خطبة المدينة، كانت الشهادة كاملة وهذا من دقة بلاغته ﷺ حيث راعى حال المخاطبين في كلتا الخطبتين.
- في خطبة مكة، لم يذكر الشق الثاني من الشهادة وهو كونه ﷺ رسول الله فقد اقتصر على قول أشهد أن لا إله إلا الله وذلك لأنه لا يزال يدعوهم للإيمان بالله وحده لا شريك له من الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله ..

الجمل والعبارات :

- جاءت خطبة المدينة طويلة عن الخطبة المكية ، وذلك مراعاة لحال المخاطبين ، وتلك هي البلاغة .
- في خطبة المدينة جاءت الجمل والعبارات طويلة ، في حين جاءت في خطبة مكة قصيرة .
- كثرت المؤكدات والأقسام وتنوعت في خطبة مكة ، بينما قلت في خطبة المدينة .
- اقتباسه ﷺ من القران الكريم باللفظ أو المعنى خاصة في الخطبة المدنية، في حين خلت الخطبة المكية من ذلك، وبرز المثل في خطبة مكة.

الأسلوب:

- في خطبة المدينة مال النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى الاطناب حيث كان التكرار في بعض المواضع، وكان الغرض هو ترسيخ مفاهيم وأمور معينة في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم، فهو ﷺ يريد أن يبني دولة على أساس قوي متين.

- أما في خطبة مكة فكانت الجمل قصيرة وجيزة مسجوعة ، كما لجأ النبي ﷺ إلى أسلوب الترغيب والترهيب حين قال إنها الجنة أبدا أو النار أبدا.

من حيث الموضوع :

- في خطبة المدينة عالج النبي ﷺ قضية التقوى وجعلها محور خطبته ثم بين آثارها الطيبة لمن انتهجها وبين أنها أساس العمل القويم.
- أما في خطبة مكة فقد عالج قضية البعث، حيث ينكرها هؤلاء القوم.
- وعلى الجملة كلامه ﷺ على درجة واحدة من البلاغة سواء في الخطبة المكية أو المدنية.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ولا يسعني في نهاية هذا البحث إلا أن أتمثل قول الشاعر :

ومما زادني شرفا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

هذا، ومن خلال البحث توصلت إلى ما يلي :

١- اقتباسه ﷺ من القران الكريم باللفظ أو المعنى خاصة في الخطبة المدنية فقد جاءت ألفاظه ومعانيه عليه السلام متأثرة بالقرآن الكريم ولذلك فقد اكتسبت سحرا وتأثيرا في نفوس السامعين .

٢- كانت ألفاظه سهلة وأسلوبه متينًا وقويًا، واستخدم السجع والأمثال في خطبة مكة، كيف لا؟ وقد أوتي عليه السلام جوامع الكلم .

٣- التنويع في داخلها بين الإيجاز والاطناب وبين الترغيب والترهيب وبين التحليل والتحريم وفيها التوازن والمقابلة بين الجمل والعبارات لجذب الانتباه وتعميق التأثير وسرعة الاستجابة.

٤- أبرز ما ميز الفاظ الخطبة ومعانيها هو السهولة والوضوح ، وذلك لأن الخطبة موجهة إلى الناس عامتهم وخاصتهم دون استثناء، وعليه كان من صميم الحكمة والتوفيق الإلهي أن تأتي ألفاظه عليه السلام على هذا النحو من السهولة والوضوح ومن القوة والمتانة بعيدة عن التكلف أو التصنع أو المبالغات المقيتة .

٥- اعتمد الرسول ﷺ أسلوبا عقليا قائما على إيراد الحقائق ومخاطبة العقل كي يميز بين الحق والباطل وبين الغث والسمين .

٦- اعتمد الرسول الكريم أسلوبا موسيقيا مؤثرا ليشد انتباه السامعين لأقواله، وقد تأتّي له ذلك من خلال المقابلة والموازنة بين الجمل والعبارات.

٧- كان أسلوبه عليه السلام قويا متينا حيث اعتمد الجمل الفعلية أكثر من غيرها ليكسب الكلام قوة وتأثيرا، كما اعتمد المزاوجة بين الخبر والانشاء.

٨- ترابط أجزاء الخطبة ، فقد نوع ﷺ في استخدامه لأدوات الربط (الواو، الفاء، واسم الإشارة) .

٩- إن أسلوبه عليه الصلاة والسلام قد أعجز العرب وهم أساطين الفصاحة والبيان عن أن يقلدوه، كيف لا وهو النبي الكريم المؤيد بوحي الله في كل ما ينطق أو يفعل أو يقرر، قال جل في علاه: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

هذا ويمكن أن يُضاف ما قمت به من مقارنة إلي نتائج البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١) الأدب المفرد – محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩– ١٩٨٩.

٢) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم – إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت: ٩٤٣ هـ) – حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٣) الإيضاح في علوم البلاغة – محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) – المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي – الناشر: دار الجيل – بيروت – الطبعة: الثالثة .

٤) البداية والنهاية – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) – المحقق: علي شيري – دار إحياء التراث العربي – الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ – ١٩٨٨ م

٥) البلاغة العربية – عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

٦) تاج العروس من جواهر القاموس– محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) – المحقق: مجموعة من المحققين – الناشر: دار الهداية .

٧) التبيان في أقسام القرآن – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:٧٥١هـ) – المحقق: محمد حامد الفقي – دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٨) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن – عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري

(المتوفى: ٦٥٤هـ) – تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف – الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي .

٩) تدريب الدعاة على الأساليب البيانية – أ. د. : عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين آل نواب– الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة – الطبعة: العدد ١٢٨ – السنة – ٣٧ – ١٤٢٥هـ .

١٠) صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

١١) جمهرة الأمثال – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) – الناشر: دار الفكر – بيروت.

١٢) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم – سعيد بن علي ثابت، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ

١٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع – أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) – ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي – الناشر: المكتبة العصرية، بيروت .

١٤) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (المتوفى: ٧٩٢ هـ) محمد بن عرفة الدسوقي– المحقق: عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية، بيروت .

١٥) خزانة الأدب وغاية الأرب– ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ) – المحقق: عصام

شقيو–الناشر: دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار–بيروت – الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م .

١٦) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني – محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – الطبعة: السابعة .

١٧) دلائل الإعجاز في علم المعاني– أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) – المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر –الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

١٨) سر الفصاحة – أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ) – دار الكتب العلمية – الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م .

١٩) شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد» – محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: ٧٧٨ هـ) دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون – الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية – الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ .

٢٠) صحيح مسلم -مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)– المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي– دار إحياء التراث العربي –بيروت .

٢١) الصناعتين – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) –المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم–الناشر: المكتبة العنصرية –بيروت عام النشر: ١٤١٩ هـ – ٢٠٢١م) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله

(المتوفى: ٧٤٥هـ) –الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح – أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، – هاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) – المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي – الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .

٢٣) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني د. بسيوني عبد الفتاح فيود – مؤسسة المختار – الطبعة الثانية – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٢٤) عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن – على أحمد عبد العال الطهطاوى – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

٢٥) الفروق اللغوية – أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) – حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم – دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر .

٢٦) القاموس المحيط – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان – الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

٢٧) الكامل في التاريخ – أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) – تحقيق: عمر عبد السلام تدمري – دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

٢٨) لسان العرب– محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى:٧١١هـ) – الناشر: دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٢٩) المحكم والمحيط الأعظم – أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]– المحقق: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

٣٠) مختار الصحاح – زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) – المحقق: يوسف الشيخ محمد – الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا – الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٣١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) – المحقق: فؤاد علي منصور – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

٣٢) المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار) – الناشر: دار الدعوة .

٣٣) معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) – المحقق: عبد السلام محمد هارون –: دار الفكر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٣٤) مفتاح العلوم – يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) – ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور – الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧م.

٣٥) منهاجُ المختَصر في عِلمي النَّحو وَالصَّرف – عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي – الناشر: مؤسَسَة الريَّان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .

٣٦) النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق – حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ رئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر (المتوفى: ١٤٢٩هـ)– دار الطباعة المحمدية القاهرة – مصر–الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.